

بسم الله الرحمن الرحيم

كَلِمَةُ التَّحْرِيمِ

وفد أمريكي للشفاعة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله (وبعد)
فلا شك أن الاسلام دين عالمي ، تتحقق فيه هذه العالمية انطلاقا
من قول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم « وما أرسلناك الا
كافة للناس بشيرا ونذيرا » ومن قوله عز وجل « قل يأيتها الناس
انى رسول الله اليكم جميعا » ومن حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم « ... وكان كل نبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس
عامة » •

وترتبيا على ذلك نادى الاسلام بالأخوة بين المؤمنين جميعا في
قوله تعالى « انما المؤمنون اخوة » مهما باعدت بينهم الديار • وأمر
الاسلام أن يتكافل المسلمون جميعا وأن يتعاونوا على البر والتقوى
وأن يكونوا في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد اذا اشتكى منه
عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر •

والاسلام حينما شرع هذا لم ينظر الى تلك الحدود الجغرافية
التي وضعها البشر لتكون حدا فاصلا بين دولة وأخرى وانما جعل
ذلك التعاون والتآزر بين المسلمين يتخطى هذه الحدود المصطنعة الى
حيث عالمية الاسلام •

وهذه الأخوة المشروعة بين المسلمين لا تشكل خطرا على أحد

لأنها لا تتروع آمنة ، ولا تنصر ظالما الا أن تمنعه من الظلم ، ولا تعين على باطل ، ولا تتعاون على معصية أو عدوان ولا تدعو الى عصبية •

* * *

ولقد جالت بعض الخواطر في رأسي : لو أن وفدا اسلاميا جاء من دولة ما الى مصر — بدافع الاحساس بواجب الأخوة الاسلامية — يشفع للدعاة والمسلمين الذين أضرخوا من قرارات سبتمبر ٨١ الشهيرة ... ماذا سيكون موقف المسئولين في مصر من هذه الشفاعة وانطباعهم عنها ؟ ألا يعدون ذلك تدخلا أو محاولة للتدخل في شئوننا الداخلية ؟ ألا يقولون ان ذلك يؤثر على حالة الأمن العام داخل البلاد ؟ ألا يعتبرون وقوف المسلم في الخارج الى جوار أخيه المسلم في الداخل عملا غير مرغوب فيه ؟

ومرة أخرى أقول انها مجرد خواطر تواردت على الفكر حين جاء الى مصر وفد أمريكي برئاسة الأسقف أرمسترونج رئيس المجلس الوطني للكنائس المسيحية بالولايات المتحدة الأمريكية • جاء لمقابلة الرئيس حسنى مبارك ليشفع عنده لشخص واحد هو «البابا شنودة» • وقال رئيس هذا الوفد فيما نشرته صحفنا اليومية يوم ٢٢ المحرم ١٤٠٤ الموافق ٢٧ أكتوبر ١٩٨٣ وأنا أنقل هنا عن جريدة الأهرام : « اننا نهتم باستمرار بالوحدة الوطنية في مصر بين المسلمين والأقباط وهو أحد الأسباب التي دعنتى لزيارة القاهرة للتعرف على الأوضاع التي تحيط بالبابا شنودة • ولقد قمنا بزيارته أمس وأجرينا معه حديثا وهو يتمتع حاليا بروح معنوية طيبة وينعم بالراحة • وأعربنا مرة أخرى عن تقديرنا للرئيس مبارك لموقفه من البابا شنودة وتوفير الظروف الطيبة له في وادى النظرون ووجدنا أن الظروف قد تحسنت

من حوله حيث شاهدنا الزوار الذين يحضرون لزيارته دون أية قيود» •
ثم يستطرد رئيس الوفد قائلا « اننا نرى أن عودة البابا شنودة
 للقاهرة وممارسته لجزء من سلطاته سيكون له معنى كبير بالنسبة
 للمسيحية في الولايات المتحدة الأمريكية » •

* * *

وتعليقا على هذه الشفاعة أقول :

(١) ان المسلمين كانوا أولى بذلك من غيرهم • وليتهم يأخذون
 الدروس والعبر من هذه المواقف فيشعر المسلمون في أدنى الأرض
 بالآلام اخوانهم في أقصاها ولا يتركونهم وحدهم كما يحدث في
 أفغانستان والفلبين ••• وغيرهما •

(٢) عودة البابا شنودة الى القاهرة أو بقاءه في وادي النطرون
 أمر من شأن السلطة المسئولة في مصر وحدها ••• والتصريح بأن
 عودته للقاهرة سيكون لها معنى كبير بالنسبة للمسيحية في الولايات
 المتحدة الأمريكية نرى فيه نوعا من الضغط والتأثير على المسؤولين
 عن اتخاذ القرار في مصر واحراجهم •

(٣) أحب أن أقول لرئيس ذلك الوفد : ما سر اهتمامكم بالوحدة
 الوطنية في مصر بين المسلمين والأقباط ؟ ان ذلك شيء من شئونا
 نحن ••• فالاسلام يعمل على سلامة الجبهة الداخلية ويحافظ على
 بنيانها وينظم العلاقة بين المسلمين وغيرهم تنظيمًا كاملاً يحقق لغير
 المسلمين ما لم تحققه المجتمعات الأوروبية والأمريكية للمسلمين الذين
 يعيشون بها ••• بل وكثيرا ما تفرق هذه المجتمعات بين السود والبيض
 في شتى أنشطة المجتمع •

ذلك •• بينما سلامة المجتمع في مصر - والحمد لله - لا يشوبها ما يعكر العلاقات بين المسلمين وغيرهم • ولا يمكن أن يرضى مسلم على أرض مصر أو يسمح بأى حال من الأحوال أن تكون بلاده لبنان أخرى يتقاتل أهلها بهذه الصورة الوحشية حيث تقوم القوى العظمى - ومنها أمريكا - وغير العظمى أيضا بالنفخ في النار لتزيدها اشتعالا •

ويكفيينا نحن المصريين أن نعمل وفق قول الله تعالى « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين • انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » •

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه •

رئيس التحرير

••• وفي فرنسا

أذاعت وكالات الأنباء من باريس يوم ٢٨ صفر ١٤٠٤ الموافق ٣ ديسمبر ١٩٨٣ أنه قد اشترك نحو ١٠٠ ألف شخص في مسيرة بدأت منذ ٧ أسابيع في ميناء مارسيليا الفرنسى وتوجهت الى باريس بعد أن قطعت أكثر من ١٢٠٠ كيلو متر سيرا على الأقدام حيث اجتمع وفد من المشتركين في المسيرة مع الرئيس الفرنسى فرانسوا ميتران وقدم له احتجاجا على ممارسة التمييز العنصرى ضد المهاجرين العرب في فرنسا وطالب الوفد بتحقيق مبادئ العدالة والمساواة •

نفحات قرآن

بقلم بخارى احمد عبده

الآل ، والأهل ، والمودة في القربى *

ويروغنا ونحن نتدبر شعار
المصطفين ، ونقدر نظامه (هـ) ،
وكلمه عقدها ألفريد بجباته
الخرائد (٦) .

ولقد علمنا أبعاد أسلوب التلقين ،
وعرفنا ايحاء كلمة « قل » .

ويبقى أن نقف أمام كلمة «القربى»
التي وردت مسبوقه بحرف يفيد
الظرفية « في » فبدت وكأنها وعاء
حشوه المودة ، والبر .

فالمودة — بمقتضى هذا التركيب —
روح كل قربى . وكل قرابة لا تورث
التواد قرابة جوفاء ، ميتة لا يعتد
بها ، لأن العبرة بالمودة التى تعمر
القرابة ، وتزكى أعمقها .

والذين ينعمون بقرابة تجود

من قرآن يقرى (١) مرديه ،
وييسط موائد الحكمة ، والرحمة
لوارديه ، ومن آيات تفرى
بالاحتساب ، وتؤكد منعة المحتسبين
المتوكلين .. سرت نفحات تشهد
عرا (٢) الأنفس الشاردة ، وتضبط
لنفحات القلوب القلقة حتى لا تتناثر
بددا (٣) بكل واد شعبة .

وتراعت خلال النفحات انفس دنيا
تغط في الغفلة ، وتغوص في الوحل .
ولاحت انفس عليا تدرج نزيهة ،
رفيقة ، غنية ، نحو مقام « حسينا
الله » تستهدى قوله سبحانه : —
(فان تولوا فقل حسبى الله لا اله
الا هو ، عليه توكلت ، وهو رب
العرش العظيم) وتستشعر (٤)
قوله سبحانه : — (قل لا أسألكم
عليه اجرا الا المودة في القربى) .

* باقيات من نفحات «تبت يدا» تجلو من كنوز الاسلام ، وتفحم
المبطلين ، وتنقذ المبلسين الحائرين ، وتؤكد أن الاسلام يهدى ، ويرضى ،
ويبنى ، ويزن بالقسطاس المستقيم .

(٤) تتخذة شعارا .
(٥) النظام كل خيط ينظم به لؤلؤ
ونحوه .
(٦) جمع خريدة والخريدة اللؤلؤة
لم تثقب .

(١) قرى الضيف أكرمه .
(٢) جمع عروة . والعروة من
الثوب موضع الزر .
(٣) متفرقة .

بالمودة ، وتفيض بالبرهم «العترة» .
والعترة من معانيها : أنها قلادة
تعجن بالمسك . فالوشيجة التي
تسوخو ، وتزهو ، وتطيب ، وتعلو
حريية بأن تستعار لها كلمة
« العترة » .

ورسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يسع العالمين بقلبه الكبير
الفياض . وكان يأسى بالغ الأسى
كلما اعرض قومه عن التذكرة
معرضين كأنهم حمر مستنفرة ، فرت
من قسورة .

ولكم رأينا التران الكريم يخفف
من لواعجه ، ويحد من أساه ،
ويكبح جماح مشاعره بمثل « لعلك
باخع نفسك إلا يكونوا مؤمنين »
« فلعلك باخع نفسك على آثارهم
ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا »
ولكم وقفنا أمام جوامع كلم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهي
تصور المعرضين فراشا (بفتح
الفاء) يدنو بها الحنف الى جاحم (١)
تتأجج ناره . (عن أبى هريرة رضى
الله عنه قال : - قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : مثلى كمثل
رجل استوقد نارا فلما اضاءت مسا
حوله جعل الفراش ، وهذه الدواب
التي تقع في النار يقعن فيها وجعل
يحجزهن ، ويغلبنه فينتقمن فيها ،
فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم
تنتقمون فيها) متفق عليه .

ومحمد صلى الله عليه وسلم
بمشاعره الانسانية الفياضة عترة
قريش ، وعيبتهم (٢) التي تبث
الروح ، وتزخر بالمودة ، والبر .
أما كفار قريش فما كانوا ليرتقوا
الى مكانة العترة ، والعيبة . كيف
وقرابتهم متجردة من الروح وبواطنهم
تغلى بالحدق ، والغل ، والشنان ؟

وقريش - برغم هذا - كثيرا
ما ناشدت رسول الله صلى الله
عليه وسلم الرحم ، وكثيرا ما ضريت
- له - على أوتار القرابة ،
والأبوة ، والبنوة ، والدم المشترك ،
استغلالا لمشاعره العليا أو تقية ،
أو سياسة ، وخديعة ، ومكرا رجاء
ان يكف رسول الله عنهم ، ويعفو :

١ - ناشدوه الرحم حين أصيبوا
بالقحط ، فرق ، ودعا لهم بالخصب
رعاية للرحم .

٢ - وتوسلوا اليه بحق العمومة
والأخوة والبنوة ان يكف عن دعوته ،
ويطلب ما يريد . (روى ابن اسحاق
بسنده : ان عتبة بن ربيعة - وكان
سيدا في قومه - قال يوما وهو
جالس في نادى قريش ، ورسول الله
جالس في المسجد وحده : يا معشر
قريش . الا اقوم الى محمد فأكلمه ،
وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها
فنعطيه ايها شاء ، ويكف عنا ؟
قالوا : بلى يا أبا الوليد . قم اليه

(١) الجاحم = الجحيم .

(٢) عيبة الرجل موضع سره ، وفتقه .

عكلمه . فقام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابن أختي ، انك منا حيث قد عنمت من البسطة في العشيرة ، والمكان في النسب ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، وانا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك . فرقت جماعتهم ، وسفنت احلامهم ، وعبت آلهتهم ، ودينهم ، وكفرت (بتشديد الفاء) من مضى من آبائهم ، فاسمع مني يا ابن أختي (.....) .

ومودة رسول الله صلى الله عليه وسلم تكمن في اتباعه ، ومؤازرته ، ونشر دعوته . هذا هو حب رسول الله وهذا - في الوقت نفسه - عين حب الله (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) .

واعتبارا لهذه العلاقة الوطيدة بين حب الله وحب رسوله فسر قوم الآية (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى) بحب الله ، والتقرب اليه .

روى الامام أحمد عن ابن عباس (ايضا) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : - لا أسألكم على ما أتيتكم به من البينات والهدى اجرا الا ان تودوا الله تعالى ، وأن تتقربوا اليه بالطاعة .

ولقد ترددت في تأويل الآية أقوال لا تثبت عند التمهيص . منها : - ١ - منها ما زعم من أن الآية نزلت توجيهها لمن فآخر العباس من

ومضى أبو الوليد يعرض على رسول الله ، ويقترح عليه بأسلوب متلطف رفيق آملا أن يصل بالملايمة والرفقة الى ما لم يصلوا اليه بالمواجهة ، والمصادمة ، والتعيق .

وأبو الوليد وهو يتملق رسول الله بكلماته المعسولة انما كان يلوح بقرابة قاحلة جذباء خلت من المودة فخلت من الروح . وأبو الوليد وعصبته - وان كانوا يمتون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم - لا يمكن أن يكونوا عترة محمد لمجرد تلاعبهم بكلمات : يا ابن أختي ، أخ كريم ، وابن أخ كريم . . . الخ تلك للعبارات المتملقة التي لا تحوى الا الجرس الرنان .

والقرآن حين أدخل أداة الظرف « في » على كلمة « القربى » انما دعاهم الى أن يملئوا الكلمة بالزيت لتضوء . ذلك شأن القرابة التي

الأنصار . ومثل هذا لا يعول عليه ، لأن السورة مكية ، والآية ذكرت في سياق آيات لا تمت الى قضية المفاخرة بصلة .

٢ - ومنها ما رواه ابن ابي حاتم من أن الآية لما نزلت قالوا : يا رسول الله ، من هؤلاء الذين أمرنا بمودتهم؟ قال : فاطمة ، وولدها . اذ من الثابت أن فاطمة تزوجت بعد بدر في السنة الثانية من الهجرة ، فلم يكن لها في مكة زوج ولا ولد . ذلك موق أن في اسناد الخبر شيعيا لا يقبل خبره هو « حسين بن الأشقر » .

قال ابن تيمية رضى الله عنه في « منهاج السنة » .

١ - (أن السورة مكية باتفاق أهل السنة . نزلت قبل أن تتزوج فاطمة . فكيف تفسر الآية بوجوب مودة قرابة لا تعرف ، ولم تخلق ؟) .

المعول اذن على ما اثر عن ترجمان القرآن ، واعلم أهل البيت « ابن عباس رضى الله عنه » .

٢ - ويرى ابن تيمية أن جميع ما في القرآن من توصية بحقوق ذوى قربي الرسول صلى الله عليه وسلم وذوى قربي الانسان انما قيل فيها (ذوى القربى) والعدول عن هذا الى « في القربى » يستوجب النظر . ذلك أنه لو أريد المودة لهم

لقليل « المودة لذوى القربى » ولم يقل « في القربى » فانه لا يقول من طلب المودة « أسالك المودة في فلان » ولا « في قربي فلان » ولكن « أسالك المودة لفلان » .

٣ - فوق أن النبي لا يستأل على تبليغ رسالة ربه اجرا البتة بل أجره على الله كما قال : « قل ما أسالكم عليه من اجر ، وما أنا من المتكفين » .

« أم تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون » .

« قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ، ان أجرى الا على الله » .

٤ - والقربى ذكرت معرفة بال فهي اذن قربى معهودة معروفة لدى المخاطبين وهي القربى التى بين الرسول وبينهم (انتهى الاسترشاد بكلام الامام ابن تيمية .

وبعد فان المسلم تدعمه مقومات منها الايمان ، والاخوة ، والحب في الله ، والبغض في الله .. الخ ومقومات المسلمين تظل تتجاذب ، وتتعالى حتى تتجاوز بالمسلمين مستوى القربى : هذا المستوى الذى يقتضى - بالضرورة - المودة في القربى .

والمودة في القربى سلوك يغذى الانفعال بالقربى ، ويفضى الى

مزید من التالف والتدانی - النی
مزید من قریبی فمزید من مودة
یصورها الله تعالى فی صورة عائد
تقر به عین رسول الله صلی الله
علیه وسلم اذ تقر به عین المسلمین (۱)
(قل لا اسألکم علیه اجرا الا المودة
فی القربی) .

فالقربی هنا اعم مفهوما ،
وارحب افقا . فهی تسع العشرة
الاتقربین . وتسع کل مفاهیم کلمات
القربی التي وردت فی القرآن
مبسوطة بـ « ذی » أو « ذا » أو
« ذوی » أو « اولو » .. الخ
وغير مسبوطة . وتسع مفهوم
الأرحام ، وأولی الأرحام الذین جعل
الله بعضهم أولى ببعض .

ولا تزال الكلمة تتسع ، وتمتلىء
حتى تنتظم المسلمین قاطبة ، فالاسلام
رحم بین أهله ، والمسلمون کلهم
اخوة بمنطوق القرآن ، وصریح
السنة ، وروح الشریعة الفراء
(انما المؤمنون اخوة) والمؤمن مطالب
بأن یدرج مشتملا بمعانی القربی
حتى یدرك منزلة الاخوة الحققة التي
امتن الله بها علی العباد (واذکروا
نعمة الله علیکم اذ کنتم اعداء فانف
بین قلوبکم فأصبحتم بنعمته اخوانا) (۱)

حديث ماء خم

ولتائل أن یقول : فیم المحاورة ،
والمداورة ورسول الله صلی الله

علیه وسلم ذکرنا الله - صراحة -
فی أهل بیته بعبارات كأنها وصیة
ضمنیة بهم ، وذلك فی الحدیث الذی
رواه مسلم فی صحیحه عن یزید بن
حیان (۲) قال : - (انطلقت أنا
وحصین بن سحیرة ، وعمرو بن
مسلمة الی زید بن أرقم . قلما
جلسنا الیه قال له حصین : لقد
لقت یازید خیرا كثيرا رأیت
رسول الله صلی الله علیه وسلم ،
وسمعت حدیثه ، وغزوت معه ،
وصلیت خلفه ، لقد لقت یازید
خیرا كثيرا . حدثنا یازید ما سمعت
من رسول الله صلی الله علیه
وسلم . قال : یا ابن أخی والله
لقد کبرت سنی ، وقدم عهدی ،
ونسیت بعض الذی کنت اعی من
رسول الله فما حدثتکم فاقبلوا ،
وما لا تکلفونی . ثم قال : قام
رسول الله صلی الله علیه وسلّم
فینا خطیبا بماء یدعی خمأ بین مکة
والمدينة . فحمد الله ، وأثنى علیه ،
ووعظ ، وذكر ثم قال : - أما بعد
الا ایها الناس ، انما أنا بشر یوشک
أن یأتینی رسول ربی فأجیب ، وأنا
تارك فیکم ثقلین ، أولهما کتاب الله
فیه الهدی والنور ، فخذوا بکتاب
الله ، واستمسکوا به ، فحث علی
کتاب الله ، ورغب فیه ثم قال : وأهل
بیتى . اذکرکم الله فی أهل بیتى
(ثلاثا) . فقال له حصین : ومن
أهل بیته ؟ الیس نساؤه من أهل
بیته ؟ قال : نساؤه من أهل بیته ،

(۱) راجع نفحات عدد شعبان ۱۴۰۲

(۲) وثقه الذهبی ، وابن حبان وغيرهما .

هاشم شرف النبوة ، وورمت أنوفها لما نالوا بمحمد صلى الله عليه وسلم من ذكر . فوق أن هذا الشرف الجديد قد يورث بنى هاشم شيئا من الزهو والتعالى الذى يثير نوازع الفيرة ، والحسد ، والحقد فى نفوس الآخرين . وقد يجمع بينى هاشم هذا الشعور فيرون أن ما غمر العرب من سيادة وشرف تراث محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنهم أولى العالمين بتراث محمد عليه الصلاة والسلام . وحينئذ تشور الفيرة ، وتضطرم الأحقاد ، ويحس الناس أن بنى هاشم بتعاليمهم وخيالاتهم أضحوا عبئا وثقلا لا يطاق .

ولكل هذه المعانى كان أهل البيت عرضة للكبت ، والقهر ، والأضطهاد . وكانوا أبعث على القلق ، وأحوج للوصية بهم فلا غرو إذا ذكرنا رسول الله بهم أمرا أن نقيم الوزن بالقسط ولا نخسر الميزان .

والحديث — بميزان الجرح والتعديل — يبعث على التوقف والنظر . وذلك لأن الراوى الأول للحديث (زيد بن أرقم رضى الله عنه) استبرأ لنفسه حين شك من كبر السن ، وقدم العهد ، وخشى

ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده . قال ومن هم ؟ قال : هم آل على ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل عباس . قال كل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال نعم .)

وهذا الحديث يتخذ منه المستشرقون ومن لف لفهم مدخلا للطعن فى عدالة الاسلام والتشكيك فى صدق مبادئه ، ويتهمون بهوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحابة ، وتمييز خاصته ، وآله .

ولقد تعرضت فى مقال سابق (١) لهذا الحديث وقلت : — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينسب فى هذا الحديث الى أهل بيته مزيد فضل يميزهم عند الله ، أو يرفعهم على الناس ، ولم يزن لهم بميزان يغير ما يزن به لعامة المسلمين . كما أنه لم يوص لهم بدنيا زائدة ، ولا طلب لهم معاملة خاصة تميزهم ، بل لم يزد على أن ذكرنا الله فى أهل بيته . وذلك يقتضى الانحيف ، والانحبابى ، والا نفلو أو نعين عليهم الشيطان . ولعله — عليه الصلاة والسلام — نظر بفراسة المؤمن فتصور ما سوف يحقق بأهل بيته ، ولا سيما من نفوس نفست على بنى

ولكن بعوامل أخرى فأراد رسول الله
أن يوجه ذلك الحب السى وجهة
صحيحة .

والحق أن الحديث سيق لغير
ذلك . فهو يرمض بشدة أن يكون
بين المؤمنين تباغض ، وأحقساد ،
ويستنكر بشدة أن يكون القرب من
رسول الله صلى الله عليه وسلم
سر الحسد وسبب الضغينة .

ونعود فنقول : نحن لا نمنع أن
يتمكن من القلوب حب آل محمد
القائم على منهج الله ، ورسوله .
ولكننا نرى أن حبه لا يترتب على
هذه الآية الكريمة . بل يجرى على
قواعد إسلامية عامة منها : -

١ - أن الحب في الله ، والبغض
فيه أوثق عرا الإيمان .

٢ - وأن المؤمنين دأبهم التراحم،
والتواصل ، والتواد (مثل المؤمنين
في توادهم . . . الخ) .

٣ - وأن تيار المودة يسرى بين
المؤمنين بفضل الله وكرمه (لن
الذين آمنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن ودا) أى حبا
تعقد أواصره فى السماء ثم ينعكس
شعاعه على الأرض . أى يحبهم
الله ويحبهم الى عباده .

يتبع أن شاء الله .

بخارى أحمد عبده

طروق النسيان ، فكانه رضى الله
عنه يلتقى بهذا عن كاهله مسئولية
ما يروى تورعا .

**لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم لله
ولقرايتى**

وقد يحلو للبعض أن يحتج بما
ورد فى السنن من أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : -
(والذى نفسى بيده لا يدخلون الجنة
حتى يحبوكم لله ولقرايتى) قالها
متخوفا من بوادر جفوة ، وغيره
توشك أن تجتاح بعض القلوب
الموتورة يوم تجهم أصحابها لخاصة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وأعرضوا ، وتغامزوا .

والحديث - كما لا يخفى - لم
يصدر لتحديد سبب حب موجود
فعلا ، ولكنه يرتكز على أمر غير
الذى ذكر . ولم يسق ليجاد حب
معدوم أصلا كى يخلق الود ويزدهر
مرتبطا بالسببين المذكورين . لأن
الحب انفعال غير ارادى ينبثق من
عوامل ، وأسباب هى مركز الدائرة .

وكما أنه يستحيل على احد أن
يخلق حبا فى قلب احد (والف بين
قلوبهم . . .) (اللهم ان هذا قسمى
فيما أمك ، فلا تؤاخذنى فيما لا
أمك) (يامقلب القلوب ثبت قلبى) .

كذلك من المستحيل فك حب من
مركزه ووتده ليشد ويوصل بسبب
آخر . بمعنى أن أولئك كانوا يحبون

بَابُ السُّنَّةِ

يقدمه

فضيلة الشيخ محمد علي عبد الرحيم

الرئيس العام للجماعة

من آداب الاسلام

عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الطهور شطر الايمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السماء والارض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو : فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها)

رواه مسلم

تعريف بالراوي :-

هو أبو مالك الحارث بن عاصم الأشعري • قال ابن حجر في الإصابة : اختلفوا في اسمه لاشتهاره بكنيته • وهو من اليمن من قبيلة تسمى الأشعريين ، صحابي جليل ، وقيل أنه مات بالطاعون في خلافة عمر عام ١٨ من الهجرة •

المفردات

الطهور = بفتح الطاء المشددة ، الموضوء والغسل ،
كما يدل الطهور على طهارة القلب •

شطر الايمان	=	• نصف الايمان •
تملاً الميزان	=	• ميزان الحسنات يوم القيامة •
سبحان الله	=	• تقديسه ، وتنزيهه عن كل نقص ، وعن كل ما لا يليق به تعالى •
الصدقة برهان	=	• دليل على صدق الايمان •
الصبر ضياء	=	• ضياء فى الدنيا ، وفى الآخرة على الصراط •
يغدو	=	• الغدو عند الصباح ، ويغدو بمعنى يذهب مبكراً فى الصباح •
معتقها	=	• منجيتها من عذاب الله تعالى •
موبقها	=	• مهلكها •

المعنى

اشتمل هذا الحديث على كثير من قواعد الدين ، وبين الرسول صلى الله عليه وسلم فيه أموراً هامة ، ليفطن لها المؤمن ، ويحرص عليها ، ويهتدى بهديها •

أولاً — الطهور شطر الايمان :-

فيه دليل على عناية الاسلام بطهارة الظاهر والباطن ، فطهارة الظاهر تشمل الوضوء وانغسل ، والبدن والثوب والمكان : التى هى شرط لصحة الصلاة • ومن ثم كانت الطهارة أدبا اسلاميا ، يحرص عليه المسلم فى جميع أحواله •

وطهارة الباطن تشمل طهارة القلب من الرذائل كالحسد والكراهية والحقد ، والكبر والرياء والعجب بالنفس ، والغرور وغير ذلك من الأمور التى لا يكمل المسلم الا اذا تطهر منها •

فمن أقر بالشهادتين حصل له نصف الايمان ، وعليه أن يحرص على النصف الثانى بطهارة ظاهره من النجاسات ، وطهارة قلبه من الفاسد .

ويؤكد ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم (ان الله لا ينظر الى صوركم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم)
ثانياً - والحمد لله تملأ الميزان :-

أعلى درجات الحمد : أن تحمد الله تعالى بما حمد نفسه ، والحمد لله هو الثناء عليه تعالى بما هو أهله ، فهو سبحانه المستحق للحمد كله ، لانه صاحب النعم ، والمتفضل على خلقه بسوابغ النعم الظاهرة والباطنة .

قال تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) وقال (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) .

ومن أقر بنعم الله الوافرة يعجز عن شكرها ، ويستصغر شأنه أمام فضل الله العظيم ، فينطلق لسانه بحمد الله والثناء عليه ، ويكون معترفا بالعبودية لله وحده ، شاكرا له فضله وانعامه فى كل حين . وبذا يكون حمده ملء الميزان يوم القيامة ، لزيادة اخلاصه وعظيم أجره .

ثالثاً :- سبحانه الله والحمد لله تملأ ما بين السماء والارض

التسبيح تقديس الله تعالى ، وتنزيهه عن صفات خلقه ، لانه المتصف بصفات الكمال ، والمنزه على كل نقص .

والمؤمن يدخل فى عباد الله تعالى الذين لا يفترون عن تسبيحه (يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم) وبذا يمجده ربه ويعظمه . ويستحق على ذلك أجرا عظيما يملأ ما بين السماء والارض .

رابعاً - الصلاة نور :-

الصلاة أعظم العبادات ، وأجل الطاعات ، لأنها عماد الدين ، ومحل مناجاة رب العالمين • وهى تهذب الأخلاق ، وتنتهي عن الفحشاء والمنكر ، وتروى القلب ، وتملأ النفس إيماناً • ولذلك كانت لصاحبها نورا وضياء فى الدنيا والآخرة •

وقد بين الخبى صلى الله عليه وسلم أن من كانت له صلاة خاشعة ، أخلص فيها لله تعالى وحافظ عليها فى أوقاتها كانت له نورا يوم القيامة • ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان يوم القيامة •

خامساً - الصدقة برهان :-

إذا كانت الصدقة خالصة لله تعالى ، دنت على صدق إيمان صاحبها ، ذلك لأن المنافق قد يؤدى الصلاة ليتستر بها ، مع أنه يضمرك الكفر ، ويظهر الصلاة التى لا تكلفه شيئاً • أما الزكاة فيرى المنافق أنها ضياع للمال ، لا يستفيد منها ، لهذا جعل الاسلام الصلاة برهانا على قيامه بحق الله ، وجعل الزكاة برهانا على قيامه بحقوق المجتمع بعد حق الله سبحانه وتعالى • فيسهم فى الانفاق على ذوى الحاجات ويعطف على الفقراء والمعوزين ، ويحنو على الضعفاء والمساكين •

سادساً - الصبر ضياء :-

الصبر : حبس النفس عن الشكوى ، وهو نوعان : صبر على المصائب والمكاره والبلايا والشور ، ومن الصبر على المكاره : الصبر على الطاعات كالصوم والجهاد ، والقيام بالفرائض والواجبات • والنوع الثانى :- الصبر على ترك الشهوات والملذات والمغريات • فمن أخذ بنفسه نحو الصبر على ما يجب وما يكره : استتار قلبه بالايمن ، وكانت نفسه راضية بقضاء الله وقدره وكان أجره عند الله عظيما وقال تعالى (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)

ومعلوم أن الصبر عنوان الرضا والتسليم لما قضى الله وقدر ،
وبه يفتح باب الرجاء ، فلا ييئس المؤمن من رحمة الله تعالى . ولا
يستولى عليه القنوط ، وبذا يكون الصبر له ضياء في الدنيا ، ونورا
يوم القيامة (نورهم يسعى بين أيديهم ويايمانهم ، يقولون ربنا أتمم
لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير) .

سابعا - القرآن حجة لك أو عليك :-

القرآن كتاب الله تعالى الذي أنزله على صفوة رسله ، وأكرم
خلقه ، صلى الله عليه وسلم . فيه خير البشر وسعادتهم ، أحل الله
فيه الحلال ، وحرّم الحرام . فمن تعبد الله به وتلاه بتدبر وتفهم ،
وعمل بما جاء فيه ، واتخذة اماما ونورا يهتدى بهديه كان القرآن
شافعا لمن عمل به ، وامثّل لاوامره ، ووقف عند حدوده .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يوضح ذلك بقوله (من جعل
القرآن امامه ، قاده الى الجنة ، ومن جعل القرآن خلفه ساقه الى
النار) وبهذه المناسبة أحذر اخواني المؤمنين من خرافات المخرفين ،
وضلالات المضلين ، وجهالات الجاهلين . فقد يلجأ بعض من ليس
لهم أثارة من علم ، أو ممن غلبت عليهم الجهالة ، فلم يفرقوا بين العث
والسمين ، وأخذوا يقصون على العامة قصصا خرافية ، نقلوها عن
مثل كتاب الاحياء للغزالي ، المشحون بالاحاديث الموضوعية ، والخرافات
والاسرائيليات . فمن ذلك قصة تثبظ الهمم ، وتبعد الناس عن تفهم
كتاب الله تعالى . وهذه القصة الخرافية تتضمن ما يلي :-

كان أحمد بن حنبل عالما متعبدا (وهذا صحيح) فرأى ربه تسعا
وتسعين مرة في المنام (وهذا كذب وافتراء من المؤلف ، اما عن
الاسرائيليات المدسوسة على المسلمين ، واما عدم القدرة على تحرى
الحق ، ابتغاء مرضاة العامة وأهل البدع والخرافات والله يقول :
لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) .

وتروى القصة الخرافية : أن أحمد بن حنبل رحمه الله لما رأى ربه في المنام تسعا وتسعين مرة قال ان رأيت ربي تمام المائة مرة سألته : بم يتقرب العبد اليك ياربي ؟ • فرآه تمام المائة • وسأل ربه : بم يتقرب اليك يا ربي ؟ • قال بكتابي • قال أحمد : أيقراه بفهم أو بغير فهم ؟ • قال بفهم وبغير فهم • (انتهت القصة •

فانظر ياأخى • كم أكذوبة تضمنتها هذه القصة التي تلوكتها ألسن من غاب عنهم الحق ، واسترضوا العامة بقصص غير صحيح ؟

أولا :- ان الله تعالى لا يراه أحد في الدنيا ، لا في اليقظة ولا في المنام ، قالت عائشة رضى الله عنها (من ادعى أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية • لأن الله يقول : لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار)

ثانيا : قال موسى : رب أرني أنظر اليك • قال : لن تراني • ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني • فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا • فلما أفاق : قال سبحانك تبت اليك •

ثالثا :- ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم نم ير ربه ليلة الاسراء ، ولكنه تلقى الأمر الالهي دون أن يرى ربه •

رابعا :- رؤية الله تعالى : ينعم بها أهل الجنة : لقوله تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) والزيادة هي التمتع برؤية وجه الله الكريم كما جاء في الأحاديث الصحيحة • حينما يزورون ربهم يوم الجمعة المسمى يوم المزيد •

هذا وكيف يأمرنا الله تعالى بأن نتدبر القرآن ونفهمه بقوله تعالى (كتاب أنزلناه اليك مبارك ، ليدبروا آياته ، وليتذكر أولو الالباب) ثم يأتى في القصة الخرافية أن الاعمال التي تقرب الى الله : قراءة القرآن بغير فهم ، وهذا جهل فاضح ومحض اختلاق •

وقد رأيت ذكر هذه القصة ، بيانا للناس ، ولا يصح ذكرها حتى لا تصد الناس عن فهم كتاب الله تعالى .

ثم بين النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف : أن الناس يوم القيامة صنفان : صنف قدم لنفسه عملا صالحا ، وطاعة خالصة لله ، فقد أعتقها من العذاب . وصنف أتبع نفسه هواها ، واستحوذ عليه الشيطان فعمل بما يوسوس له ، فقد أورد نفسه موارد التهلكة والعذاب .

ما يستفاد من الحديث

١ - طهارة المؤمن لجسده وثيابه ومكانه واجبة . وهذه هي الظهارة الظاهرة . ويجب أن تقترن بظهارة القلب ، ليجمع المؤمن بين الطهارتين الظاهرة والباطنة .

٢ - تسبيح الله تعالى وتكبيره وتحميده وذكره ذكرا مشروعا يثقل موازين الحسنات يوم القيامة .

٣ - أن الظفر مع الصبر ، وأن الصبر من الايمان .

٤ - سعادة الانسان في الدنيا والآخرة بالصلاة . فمن أداها كانت له نورا يوم القيامة .

٥ - الصدقة برهان على قوة الايمان . وان كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة .

٦ - القرآن الكريم شاهد لك أو عليك .

٧ - الناس يوم القيامة صنفان : سعيد من نجا ، وشقى من هلك ، وكل امرئ بحسب عمله (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) والله أعلم .

محمد على عبد الرحيم

حوار داهل الاسرار

بقلم . بدوى محمد خير طه

- ٨ -

لقد شغلت قضية الدعوة الاسلامية معظم فترة الاعتقال بين أعضاء الجماعات الاسلامية ، وكانت هناك آراء متباينة ووجهات نظر مختلفة الى ظاهرة العنف فى السنوات الاخيرة . وفى احدى جلسات الحوار قال زميل شاب : ان الدعوة الى الاسلام تحتاج الى القوة فى محاربة أهل الباطل والعقائد المنحرفة . وربنا تبارك وتعالى يقول لموسى عليه السلام « فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها » .

قلت :- ليس معنى الآية أن يأخذ موسى عليه السلام قومه بالشدة والعنف . بدليل أن الله قال من قبلها لموسى عليه السلام وأخيه « اذها الى فرعون انه طغى فقولوا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى » . ولكن معنى القوة هنا أن لا يتقاعس فى التبليغ وأن لا يتراخى فى تنفيذ ما جاء به من المواعظ وتفصيل الأحكام (أى التوراة) ، وأن لا يدخر جهداً فى دعوة بنى اسرائيل اليها .

واذا كنا نريد - بما يقال من الأخذ بالشدة فى الدعوة - خير الاسلام فهل لنا أن نتأمل فيما جرته أحداث العنف الأخيرة على الاسلام ؟ ودعنا نحتمك الى العقل بعيداً عن العواطف والتعصب للرأى والهوى وبغير توزيع الاتهامات بين من قاموا بتلك الاحداث وبين من دفعوهم اليها . فهل تجد منصفاً يقول بأن هذه الاحداث الدامية أفادت الاسلام ؟ أظن الاجابة لا تحتاج الى كبير تأمل أو تفكير .

وإذا كان هناك منحرف عن طريق الجادة والصواب فاعلم أنه مريض • والداعية يجب أن يكون طبيبا يعالج بالحكمة والرفق • وقد روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ان الرفق لا يكون في شيء الا زانه ، ولا ينزع من شيء الا شانه » • لكنك ان شهرت به ورميته بالفسوق والعصيان لأول وهلة فانك كالتبيب الفاشل الذى يفاجىء مريضه بأنه مصاب بمرض خطير من أمراض العصر المفزعة • فهل تظن أن الدواء يفيد ؟ كلا •

قال محدثى :- ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للكفار والمشركين « جئتمكم بالذبح » وقال أيضا « جعل رزقى تحت ظل رمحى » • فلا غرابة في أن يكون العنف أو الشدة مواكبا للدعوة الى الله •

قلت : أما عن الحديث الاول فهذا تقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاشا لله أن يخالف رسولنا صلى الله عليه وسلم أمره • فقد تكرر الامر بالرفق في مواضع شتى في القرآن الكريم « فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » « فذكر انما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » « عليك البلاغ وعلينا الحساب » « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » « فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين » « فلذلك فادع ، واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا واليه المصير » « فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون » « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى » وانظر الى الآية الاخيرة فانها لأهل مكة فانظر الى الامر بتودد الرسول صلى الله عليه وسلم الى المشركين يقول لهم اننى لا أطلب عما جئت به أجرا ولكنى أود لكم الخير لقرابتى منكم • ويقول فى رده على عمه حين عرضت عليه

زخارف الدنيا « ياعم : كلمة تعطونها تدين لكم بها العرب وتملكون بها العجم : أن تقولوا لا اله الا الله وتخلصون ما تعبدون من دونه » فكيف بالله عليك بعد هذا الرفق يقول لهم جئناكم بالذبح ؟

وأما الحديث الثانى فهو صحيح ومعناه أنه حرمت عليه أموال الزكوات والصدقات ولا يأكل الا من الغنائم ومن الفىء « واعلموا أنما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى .. الخ » الآية ٤١ (الأنفال) « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذى القربى .. الخ » (الآية ٧ الحشر) .

وقد حدث أن الحسن بن على رضى الله عنهما وهو صغير تناول ثمرة من تمر الصدقة فأخذها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له كخ ، كخ ، أما علمت أنا آكل البيت لا تحل لنا الصدقة وقال : « ان الصدقة لا تحل لحمد ولا لآل محمد » .

قال : هناك حقيقة لا ينكرها أحد فان الإسلام انتشر بالسيف وملاً طباق الأرض ولولا ذلك لم يكن اسلام ولا مسلمون . قلت : من قال ان هذه حقيقة ؟ انها أعظم الفرى وأفدح ما رمى به الإسلام والمسلمون من الكذب من الاعداء والمستشرقين ومبغضى الحق .

صحيح أن المسلمين حملوا السيف لا ليقهروا به الناس على الإسلام ولكن ليدافعوا عن أنفسهم من دعاة الباطل وعدوانهم ورد محاولاتهم لوأد الدعوة والقضاء عليها وليخلوا بين الناس وبين حرية الاعتقاد . ولنا أن نستأنس ببعض الأمثلة على امتداد تاريخ الإسلام .
أولا : النصوص القرآنية :-

- ١ - « وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون » (براءة ٦) .
- ٢ - « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » (النساء ٩٠)

٣ - يأيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة » (النساء ٩٤) •

٤ - « وقت الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » (الكهف ٢٩) •

٥ - « لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » (البقرة ٢٥٦)
أنظر الى هذه النصوص الواضحة فهي كلها تأمر بعرض الاسلام دون اكراه ، بالحجة البالغة والحكمة التي تصل باجارة المشرك ان طلب الأمن وهو في موقف ضعف ثم يعرض عليه الاسلام ويسمع القرآن ثم يحرسه المسلمون حتى يبلغ مأمنه •

بل ان الامر ليذهب الى أبعد من ذلك حيث يقول الحق جل وعلا :

٦ - « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين » (الممتحنة ٨)

يطالبنا الحق سبحانه أن نبر الذين لم يقاتلونا ونقسط اليهم رغم كفرهم •

٧ - « وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحريم رقبة مؤمنة » (النساء ٩٢) وفي هذه الآية يأمر ربنا جل وعلا بأنه اذا قتل المسلمون معاهدا خطأ فيجب أن تسلم دية الى أهله ثم كفارة على القاتل •

من هذه النصوص القرآنية يتضح أن الله سبحانه وتعالى يهي عن اشهار السيف في وجه من لم يقاتل المسلمين ومن كف أذاه عنهم من المشركين والكافرين •

وحتى حين يكون هناك عدوان أو محاولة للاعتداء على المسلمين نجد أن الحق سبحانه يرشد المسلمين الى مكارم الأخلاق وهم في ميدان القتال فيقول :

٨ - « واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ، ان الله لا يحب الخائنين » (الانفال ٥٨) أى اذا كان بينك وبين قوم عهد عدم اعتداء وخفت من نقضهم للعهد وبدت لك شواهد على ذلك فأعلمهم بأنك طرحت عهدهم وأنذرهم بقطعه حتى لا تأخذهم على غرة فان هذا غدر لا يليق بأرباب المروءة . تأمل هذا التوجيه الكريم للرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه من رب العزة ورب الاسلام .

٩ - « وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم » (الأنفال ٦١) وانظر الى هذا التوجيه الالهى يقول للمسلمين : وحتى بعد أن حمى الوطيس ولمعت السيوف ودارت رحى الحرب فاذا رأيت من عدوك جنوحا للسلم ومحاولة جادة للتفاوض فما عليك الا أن تسالمهم بعد أن أذقتهم وبال خيانتهم وخذاعهم .

١٠ - « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » (محمد ٤)

وحتى اذا لم يطلبوا السلم واستمر القتال وأصبتم من عدوكم تقتيلا وأسرى فانه من شيم الكرام - حتى مع الأعداء - ان أردتم أن تمنوا على من وقع فى أيديكم من الاسرى بالحرية فهذا خير ، وان شئتم فلکم أن تأخذوا منهم الفدية وتفكوا أسرهم وتردوهم الى أهلهم .

أى سماحة أبعد من هذا ، فلو كان الهدف من القتال هو اكراه الناس على الاسلام لما كانت هناك حاجة لاعلام قوم بخروج المسلمين لقتالهم حتى يكونوا على علم بالحرب ، ولكانت المباغثة والغدر هى أقرب الطرق للاكراه ، ولما كان هناك من (بفتح الميم وتشديد النون) على المشركين الأسرى أو فداء ولا بديل عن القتل الا الاسلام ولما كانت هناك عهود ومواثيق بالسلم أو المودعة لو كان القتال بغية اكراه الناس على الاسلام .

تلك بعض النصوص القرآنية على سبيل المثال لا الحصر التى

تدحض تلك الشبهة التي رُمى بها أعداء الإسلام دين الإسلام
والمسلمين .

ولما وجدت علامات الرضا والاقتناع بادية على وجوه بعض
الحاضرين أردت أن أؤكد هذه التشريعات الربانية بالتطبيق العملي
من الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه في عصر الرسالة . قلت لهم
سأسوق لكم بعض الأمثلة من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(١) صلح الحديبية : - غادر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته
المدينة في طريقهم للعمرة في بيت الله الحرام في العام السادس من
الهجرة . وحين بلغوا أعلى مكة علموا أن قريشا تعد العدة لقتالهم
وتداول الرسل بين المسلمين والمشركين في مكة . وكان رد الرسول
صلى الله عليه وسلم أنه جاء معتمرا لا محاربا . وأمر أصحابه أن
يظهروا الهدى ويغمدوا السيوف حتى يقتنع هؤلاء القوم ، ولما وجد
عنتا واصرارا من قريش طلب البيعة من أصحابه على القتال حتى النصر
أو الموت فما تخلف أحد عن البيعة . وقد مدح الله فعلهم في سورة
الفتح ، ولما وجدت قريش من المسلمين عزيمة على هذا الامر بدءوا
في عرض الصلح على أن يعود المسلمون هذا العام الى المدينة ويرجعوا
للمعمرة في العام القادم وأن يبرموا معهم صلحا بعدم الاعتداء بين
الفريقين لسنوات فوافق الرسول صلى الله عليه وسلم رغم تبرم
بعض أصحابه من الشروط المجحفة - كما تخيلوها - في هذا الصلح .
ولكنهم ازاء الحزم الذي وجدوه من الرسول صلى الله عليه وسلم
فما كان لهم الخيرة في ذلك . لأن رسول الله قال لهم « انى أعلم أنى
رسول الله وعلى الحق ولن يضيعنى »

(٢) المعاهدات التي أبرمها الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود
بعدم الاعتداء . ولما وجد منهم الخيانة والغدر ومحاولة القضاء عليهم
حاربهم وظهر منهم الجزيرة العربية جزاء غدرهم وخيانتهم . والى لقاء
آخر باذن الله نستكمل بقية الحوار . بدوى محمد خير طه

جماعة أنصار السنة المحمدية بدراو

تحت راية التوحيد

بمجلس فضيلة الشيخ
عبد اللطيف محمد نذر

« الاحسان »

وتوحيد الله عز وجل يقتضى الاحسان فى عبادته سبحانه كما جاء فى حديث جبريل عليه السلام حين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاحسان ، قال : (الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك) . رواه البخارى رحمه الله تعالى .

الجواب الى حالتين : ارفعهما ان يغلب مشاهدة الحق - تبارك وتعالى - بقلبه حتى كأنه يراه بعينه ، وهو قوله - صلى الله عليه وسلم : (كأنك تراه) اى : وهو يراك ، والثانية : أن يستحضر أن الحق - جل وعلا - مطلع عليه ويرى كل ما يعمل ، وهو قوله - صلى الله عليه وسلم - (فإنه يراك) . وهاتان الحالتان تثمرهما معرفة الله وخشيته ، وقد عبر - صلى الله عليه وسلم - فى رواية عمارة بن القعقاع بقوله : (أن تخشى الله كأنك تراه) . ا ه .

● وقال النووى رحمه الله : وهذا القدر من الحديث أصل عظيم من أصول الدين ، وقاعدة مهمة من قواعد المسلمين ، وهو عمدة الصديقين ، وبغية السالكين ، وكنز العارفين وداب الصالحين ، وهو من جوامع الكلم التى أوتيتها صلى الله عليه وسلم . ا ه .

● قال ابن حجر العسقلانى رحمه الله فى كتابه فتح البارى شرح صحيح البخارى : (الاحسان) هو مصدر ، تقول أحسن يحسن احسانا ، ويتعدى بنفسه وبغيره . تقول : أحسنت كذا اذا أتقنته ، وأحسنت الى فلان اذا أوصلت اليه النفع . والأول هو المراد لأن المقصود اتقان العبادة ، وقد يلحظ الثانى بشأن المخلص مثلا محسن باخلاصه الى نفسه ، واحسان العبادة الاخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود ، وأشار - صلى الله عليه وسلم - فى

● وقال ابن القيم رحمه الله في كتابه مدارج السالكين : ومن منازل « أياك نعبد وأياك نستعين » منزلة (الاحسان) وهى تب الايمان وروحه وكماله ، وهذه المنزلة تجمع المنازل جميعها ثم قال تعليقا على الحديث : وأما الحديث : فإشارة الى كمال الحضور مع الله عز وجل ، ومراقبته الجامعة لخشيته ومحبته ومعرفته ، والانبأة اليه والاخلاص له ، ولجميع مقامات الايمان . آ هـ

● وقال القرطبى رحمه الله : ال فيه — أى : فى (الاحسان) — للمعهد الذهنى ، وهو الذى قال فيه الله تعالى : (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) — (وأحسنوا أن الله يحب المحسنين) — فلما تكرر الاحسان فى القرآن وترتب عليه هذا الثواب العظيم ، سأل عنه جبريل ليعلمهم بعظيم ثوابه وكمال رفعته . آ هـ .

● وقال تعالى : (الاحسان) — ال فيه — أى : فى (الاحسان) — للمعهد الذهنى ، وهو الذى قال فيه الله تعالى : (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) — (وأحسنوا أن الله يحب المحسنين) — فلما تكرر الاحسان فى القرآن وترتب عليه هذا الثواب العظيم ، سأل عنه جبريل ليعلمهم بعظيم ثوابه وكمال رفعته . آ هـ .

● وقال تعالى : (الاحسان) — ال فيه — أى : فى (الاحسان) — للمعهد الذهنى ، وهو الذى قال فيه الله تعالى : (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) — (وأحسنوا أن الله يحب المحسنين) — فلما تكرر الاحسان فى القرآن وترتب عليه هذا الثواب العظيم ، سأل عنه جبريل ليعلمهم بعظيم ثوابه وكمال رفعته . آ هـ .

● وقال تعالى : (الاحسان) — ال فيه — أى : فى (الاحسان) — للمعهد الذهنى ، وهو الذى قال فيه الله تعالى : (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) — (وأحسنوا أن الله يحب المحسنين) — فلما تكرر الاحسان فى القرآن وترتب عليه هذا الثواب العظيم ، سأل عنه جبريل ليعلمهم بعظيم ثوابه وكمال رفعته . آ هـ .

● وقال تعالى : (الاحسان) — ال فيه — أى : فى (الاحسان) — للمعهد الذهنى ، وهو الذى قال فيه الله تعالى : (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) — (وأحسنوا أن الله يحب المحسنين) — فلما تكرر الاحسان فى القرآن وترتب عليه هذا الثواب العظيم ، سأل عنه جبريل ليعلمهم بعظيم ثوابه وكمال رفعته . آ هـ .

● وقال ابن القيم رحمه الله في كتابه مدارج السالكين : ومن منازل « أياك نعبد وأياك نستعين » منزلة (الاحسان) وهى تب الايمان وروحه وكماله ، وهذه المنزلة تجمع المنازل جميعها ثم قال تعليقا على الحديث : وأما الحديث : فإشارة الى كمال الحضور مع الله عز وجل ، ومراقبته الجامعة لخشيته ومحبته ومعرفته ، والانبأة اليه والاخلاص له ، ولجميع مقامات الايمان . آ هـ

● وقال القرطبى رحمه الله : ال فيه — أى : فى (الاحسان) — للمعهد الذهنى ، وهو الذى قال فيه الله تعالى : (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) — (وأحسنوا أن الله يحب المحسنين) — فلما تكرر الاحسان فى القرآن وترتب عليه هذا الثواب العظيم ، سأل عنه جبريل ليعلمهم بعظيم ثوابه وكمال رفعته . آ هـ .

* * *

● وقال تعالى : (الاحسان) — ال فيه — أى : فى (الاحسان) — للمعهد الذهنى ، وهو الذى قال فيه الله تعالى : (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) — (وأحسنوا أن الله يحب المحسنين) — فلما تكرر الاحسان فى القرآن وترتب عليه هذا الثواب العظيم ، سأل عنه جبريل ليعلمهم بعظيم ثوابه وكمال رفعته . آ هـ .

● وقال تعالى : (الاحسان) — ال فيه — أى : فى (الاحسان) — للمعهد الذهنى ، وهو الذى قال فيه الله تعالى : (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) — (وأحسنوا أن الله يحب المحسنين) — فلما تكرر الاحسان فى القرآن وترتب عليه هذا الثواب العظيم ، سأل عنه جبريل ليعلمهم بعظيم ثوابه وكمال رفعته . آ هـ .

صاحبه كما قال تعالى : (وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) الآية ٢٣ - الفرقان .

● وقد جاء ذكر الاحسان في القرآن :

مقرونا بالاسلام كتوبه تعالى :
(بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) الآية ١١٢ - البقرة .

ومقرونا بالايمن والتقوى والعمل الصالح . قال الله تعالى : (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ، ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين) الآية ٩٣ - المائدة .

● والاسلام والايمن والتقوى والعمل الصالح من أساسيات الدين وأصوله انى لا نجاه لأحد بدونها ، وما عداها من أمور الدين تبع لها ، واقتنائها بالاحسان يدل على أن هذه الأمور لا بد للمسلم فيها من خشية الله تعالى ومراقبته فى السر وفى العلن حتى كأنه يرى الله وآلا فالله يراه ، لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء وهو بكل شىء عليم .

قال تعالى : (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) الآية ١٢٠ - التوبة .

وقد رضى الله على من اتبع رسوله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم باحسان . قال تعالى : (والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك هو الفوز العظيم) الآية ١٠٠ - التوبة .

والمسلم المحسن مستمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها . قال تعالى : (ومن يسلم وجهه الى الله فهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاتبة الأمور) الآية ٢٢ لقمان .

والله يبشر المحسنين . قال تعالى : (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين) الآية ٣٧ . الحج .

والآيات فى هذا المعنى كثيرة وكلها تأمر بالاحسان وتبين فضل الاحسان والمحسنين وأنه روح العبادة والأعمال الصالحة . والعمل اذا تجرد من روحه فلا خير فيه بولا قبول له ، وهو مردود على

● قال الله تعالى وتعالى يزيدهم من فضله في جنات النعيم فيمتنعهم بالنظر الى وجهه الكريم .

قال الله تعالى : (للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) الآية ٢٦ - يونس .
والحسنى الجنة ، والزيادة النظر الى وجه الله الكريم .

* * *

● والاحسان يحمل صاحبه على تقوى الله سبحانه ويعين على التقرب الى الله بأعظم القرب التى لا يوفى اليها الا المحسنون .

قال الله تعالى : (ان المتقين في جنات وعيون . آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين . كانوا قليلا من الليل ما يهجعون . وبالأسحار هم يستغفرون . وفي أموالهم حق للسائل والمحروم) الآيات ١٥ - ١٩ . الذاريات .

فما مثل قيام الليل الا اقله ، وما مثل الاستغفار في الأسحار ، وما مثل الانفاق من الأموال لكل سائل ومحروم ، ما مثل ذلك عملا صالحا يقرب من الله عز وجل . ولكن لا يقوم به الا المتقون الذين هم محسنون .

قال الله تعالى : (وما تكون في شأن وما تتلوم منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تقيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين) الآية ٦١ يونس .

● والاحسان هو ما يختبر الله به عباده فمن أحسن فله الحسنى ومن أساء فأولئك هم الظالمون .

قال الله تعالى : (تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور) الآيتان ١ ، ٢ - الملك .

وقال تعالى : (انا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا) الآية ٧ الكهف .

● لذلك فقد وعد الله الذين يحسنون ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة .

قال الله تعالى : (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولداد الآخرة خير ولنعم دار المتقين . جنات عدن يدخلونها تجري من تحتهم الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزى الله المتقين) الآيتان ٣٠ ، ٣١ النحل

السبيل وما ملكت إيمانكم) الآية
٣٦ - النساء .

● ومن الاحسان أن تدفع
السيئة بالحسنة والاساءة بالصفح
الجميل . ولا يقوى على ذلك الا ذو
حظ عظيم .

قال الله تعالى : (ولا تستوى
الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي
أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كأنه ولى حميم . وما يلقاها الا
الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ
عظيم) الآية ٣٥ - فصلت .

● وهكذا تتسع دائرة الاحسان
في المفهوم الاسلامى حتى تشمل كل
عمل من الاعمال عظيمها وحقيرتها .
قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : (أن الله كتب الاحسان
على كل شيء فاذا قتلتهم فأحسنوا
المقتلة واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة
وليحد أحدكم شفرته وريح ذبيحته)
رواه مسلم رحمه الله تعالى .

● ولكن الاحسان لا بد له من
دعامتين يقوم عليهما حتى يكون
احسانا شرعيا يؤتى أجره وتكون
منه ثماره : الاخلاص لله ومتابعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم .
والى حديث قادم ان شاء الله .

عبد اللطيف محمد بدر

روى مسلم رحمه الله عن جابر
رضى الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول :
(ان فى الليل لساعة لا يوافقها رجل
مسلم يسأل الله تعالى خيرا من
أمر الدنيا والآخرة الا اعطاه اياه
وذلك كل ليلة) .

والله تعالى يقول : (وانفقوا فى
سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى
التهلكة وأحسنوا ان الله يحب
المحسنين) الآية ١٩٥ البقرة .

● والاحسان كما يكون فى الاعمال
وفى الانفاق يكون فى الأقوال كذلك .

قال الله تعالى : (وقتل لعبادى
يقولوا التى هى أحسن ان الشيطان
ينزغ بينهم أن الشيطان كان للانسان
عدوا مبينا) الآية ٥٣ - الاسراء .
وقال تعالى : (وقولوا للناس حسنا
وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) الآية
٨٣ - البقرة .

● ومن الاحسان رعاية حقوق
الغير وأداؤها طاعة لله الأقرب
فالأقرب .

قال الله تعالى : (واعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين
احسانا وبذى القربى واليتامى
والمساكين والجار ذى القربى والجار
الجنب والصاحب بالجنب وابن

الخليفة الرابع

عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
رضي الله عنه
بقلم: أحمد طه نصر

وكان علي بن ناصب النبي صلى الله عليه وسلم وانتقل الى بيته صبيا صغيرا . فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كان من الطبيعي أن يكون على أول من أسلم صبيا . ولكن عن بينة لما رأى النبي وزوجه البارة الطيبة خديجة رضى الله عنها وأرضاها يصليان فيركعان ويسجدان ويقرآن بعض ما أوحاه الله يومئذ الى محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن فدهش وسألها : ان هذا الركوع والسجود ؟ فأجابته النبي بما معناه نستجد لله الذى بعثنى نبيا وأمرنى أن أدعو الناس اليه والى عبادة الله وحده لا شريك له ، وترك عبادة الاصنام التى لا تضر ولا تنفع ، ولا تعطى ولا تمنع . وأسمعه بعض آيات القرآن . فوقع ذلك من قلبه موقع القبول والهداية فأسلم وسنه حوالى العاشرة .

وكان لنشأته فى بيت النبوة الشريف واسلامه فى تلك المرحلة المبكرة من حياته أثرهما البارز فى سجله الرائع مع الاسلام . ومن أشهر مواقفه فى هذا المقام افتداؤه الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم الهجرة

هو على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم . من عجب أن أباه وقف حياته يحول بين قريش وبين أن تنال من النبي صلى الله عليه وسلم شيئا يكرهه ، مروءة وشهامة وان كان عى دين قومه . يقول صلى الله عليه وسلم (والله ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب) أما أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم أيضا فقد كانت من السابقات الى الاسلام رضى الله عنها .

ولسد على رضى الله عنه قبل البعثة بعشر سنوات كما صرح ابن اسحاق ونشأ فى بيت النبوة . وتربى تحت رعاية النبي صلى الله عليه وسلم ذلك أن أباطالب كان كثير العيال قليل المال ، وحدث أن أصابت قريشا أزمة شديدة ، فاقترح محمد صلى الله عليه وسلم على عمه العباس رضى الله عنه — الذى كان من أغنياء بنى هاشم — أن يشتركا فى تخفيف العبء عن أبى طالب بأن يتكفل كل منهما بترية واحد من بنيه . فكان جعفر رضى الله عنه — شهيد مؤته العظيم — من نصيب العباس .

ولذلك توفى النبي صلى الله عليه وسلم وهو راض عنه تماما . فكان احد العشرة الذين بشرهم الرسول بالجنة .

ولئن كان على — مع حسن بلائه وعظيم جهاده في الاسلام — هو رابع الخلفاء الراشدين فان ابا بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم قد عرفوا له فضله ومكانته في الاسلام . فكان كل منهم يستشير في مهام الأمور قبل ابرامها . وكانت مشورته دائما نعم الراى لما كان يتمتع به من عقل راجح وفكر صائب ورأى سديد وعلم وافر بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . وقد مر بك (في مقال سابق) أنه كان أحد الستة الذين رشحهم عمر لاختيار أحدهم خليفة بعده . وعلى الجملة فهو كما وصفه السيوطى في كتابه (تاريخ الخلفاء) أحد السابقين الى الاسلام ، وأحد العلماء الريانيين والشجعان المشهورين ، والخطباء المعروفين ، وأحد من جمع — حفظ — القرآن العظيم وعرضه على النبي صلى الله عليه وسلم ، والمؤذن في الناس يوم الحج الأكبر في حجة أبى بكر ، براءة الله ورسوله من المشركين بأمر النبي صلى الله عليه وسلم .

وماذا عن بيعته : لحظة استشهاد عثمان رضى الله عنه أصبح المسلمون بدون خليفة . وأصبحت الدولة بغير أمير يتحمل مسئوليتها ويدير شئونها ويرعى مصالح أبنائها ويوفر

الى المدينة بقوله النوم على فراشه تلك الليلة التى تجمع فيها شباب فريش عند منزل النبي صلى الله عليه وسلم نقتله . ولو أن هؤلاء الشباب اتحبوا المنزل واندفعوا بسيوفهم ائيه وقتلوه قبل أن يتبينوه لذهب رضى الله عنه شهيدا كريما . وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أمره أن يمكث بمكة حتى يؤدى عنه أمانة الودائع التى كانت لديه عليه السلام . ثم يلحقه الى المدينة بأهل بيته ففعل .

وقد آخاه النبي صلى الله عليه وسلم فى المدينة ثم زوجته ببنته فاطمة رضى الله عنها فهو ابن عمه وأخوه وصهره . ولقد شهد الغزوات كلها الا غزوة تبوك حين استخلفه صلى الله عليه وسلم على المدينة . وكان مضرب المثل فى الشجاعة والاقدام . وتواتر لدى المؤرخين حديث بطولته وجراته فى الحرب والنضال ولاسيما يوم الخندق ويوم فتح خيبر . وفيه يقول صلى الله عليه وسلم يومها (لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله) ولقد كان يختاره صلى الله عليه وسلم لحمل لواء المسلمين فى مواطن كثيرة من أجل ذلك .

ومن جانب آخر كان على أحد كتاب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم . ورغم حفظه للكتاب الكريم فقد روى له الصحابة وكبار التابعين أكثر من خمسمائة حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو من كبار علماء الصحابة بالكتاب والسنة .

ومن رواية الطبري — تاريخ
الرسل والملوك — عن أبي بشير
العابدي قال كنت بالمدينة حين قتل
عثمان رضى الله عنه واجتمع
المهاجرون والأنصار فيهم طلحة
والزبير فأتوا عليا فقالوا يا أبا
الحسن : هلم نبايعك . فقال :
لا حاجة لى فى أمركم ، أنا معكم
فمن اخترتم فقد رضيت به ،
فاختاروا . فقالوا : والله ما نختار
غيرك . قال فاختلفوا إليه مرارا
بعد ما قتل عثمان . ثم أتوه فى آخر
ذلك فقالوا له : انه لا يصلح الناس
الا بامرة وقد طال الأمر . فقال
لهم : انكم قد اختلفتم الى وانيتم .
وانى قائل لكم قولا ان قبلتموه قبلت
أمركم . والا فلا حاجة لى فيه .
قالوا : ما قلت من شىء قبلناه
ان شاء الله . فجاء فصعد المنبر
فاجتمع الناس إليه فقال : انى قد
كنت كارها لأمركم فأبيتهم الا ان أكون
عليكم . الا وانه ليس لى أمر دونكم
الا ان مفاتيح مالكم معى الا وانه
ليس لى ان آخذ منه درهما دونكم .
رضيتم ؟ قالوا : نعم . قال : اللهم
اشهد عليهم . ثم بايعهم على ذلك .

ويذكر ابن عبد ربه فى كتابه
« العقد الفريد » : لما قتل عثمان
أقبل الناس يهرعون الى على .
فترأى عليه الجماعة فى البيعة
فقال : ليس ذلك الحكم . انما ذلك
لاهل بدر . أين طلحة والزبير وسعد
فأقبلوا فبايعوا . ثم بايعه المهاجرون
والأنصار . ثم بايعه الناس ، وعلى

الحماية الكافية لحدودها . ومن
شأن هذا الوضع الخطير اذا استمر
اياما ان تضرب الفوضى بانبيائها فى
المجتمع . ونتيجة ذلك تكون خسارة
فادحة . ومن رحمة الله بالمسلمين
ان هدى اهل المدينة الى التفكير فى
هذا الأمر قبل ان يتفاجم . فأسرعوا
بيحثون عن الرجل الذى يعتقدون
انه الأجدر بمواجهة هذا الموقف
والأقوى على تحمل تبعاته والقيام
بمسئوليته الجسام . ولم يطل
تفكيرهم ، فلقد كان منطقياً ان تتجه
انظارهم مباشرة الى أولئك الباقين
من الستة الذين رشحهم عمر للخلافة
وهم على وطلحة والزبير وسعد .
ولقد تذكر اهل المدينة ان الاختيار
قد انحصر بعد وفاة عمر بين عثمان
وعلى . ولقد مات عثمان وبقي
على . فهو اذن الرجل الذى عنه
يبحثون فليذهبوا إليه . وليعرضوا
عليه الخلافة . وليكونوا مطمئنين
لحسن اختيارهم له . لماذا ؟ لأنه
الذى يتمتع بالمزايا التى مرت بك :
سبق للإسلام ، صحبته للنبي صلى
الله عليه وسلم ، مبشر بالجنة ،
مرشح من عمر علاوة على مصاهرته
ورحمه من النبي صلى الله عليه
وسلم . فأجمعوا أمرهم وانطلقوا
إليه وطلبوا منه ان يتولى خلافة
المسلمين . فبماذا أجابهم ؟ هنا
تكثر الروايات التى أوردها المؤرخون
وهى تتراوح بين المقبول والمعقول ،
والذى لا تجد النفس ميلا إليه .
ومن الحق ان لا يذكر المؤمن الا ما
يرتاح الى الافتناع بصوابه وثبوته .

هذا النحو نمت البيعة لعلى بالخلافة
في يوم الجمعة الرابع والعشرين من
شهر ذى الحجة سنة خمس وثلاثين .
خامس يوم لاستشهاد عثمان رضى
الله عنهم أجمعين .

ويده الا بالحق . لا يحل اذى المسلم
الا بما يجب . بادروا قبل الموت فان
الناس امامكم وان من خلفكم الساعة
تحدوكم . تخففوا تلحقوا . فانما
ينتظر الناس اذراهم . اتقوا الله
في عباده وبلاده . انكم مسئولون
حتى عن البقاع والبهائم . اطيعوا
الله عز وجل ولا تعصوه . واذا رأيتم
الخير فخذوا به . واذا رأيتم الشر
فدعوه .

والحق ان ما يروى بخلاف ذلك
مبعثه التوتير الذى ساد المدينة قبيل
مقتل عثمان . وان يستقر فى الحسبان
مكانة هذا المجتمع وأخلاقه وما يتبع
به من دين . والذى يطمئن اليه
المؤمن تماما ان بيعة على لا تكاد
تختلف عن بيعة الثلاثة الراشدين من
قبله . وان جمهور الأمة وفى مقدمتهم
المهاجرون والأنصار قد أجمعوا على
اختياره بارادتهم حتى ورد أن
المفتونين قالوا لاهل المدينة : انتم اهل
الشورى وانتم تعقدون البيعة
والامامة . وامركم عابر — جائز —
على الأمة فانظروا رجلا تنصبونه
ونحن لكم تبع . وكل الامصار كذلك
الا للشاميين الذين يقودهم معاوية
لامر ما .

ثم بدأ فى مباشرة مهام خلافته .
وكان عليه ان يعالج مسألتين ملحتين
عويصتين . فاما الاولى فهى القصاص
من قتلة سلفه عثمان . وهؤلاء
القتلة ما يزالون بالمدينة غادبن
رائحين . ربما تصوروا انهم قوة
وان الخليفة لن ينال منهم شيئا .
ولكن جميع من لم يشترك فى الاعتداء
على عثمان قد غضبوا لمقتله ويريدون
ان يتخذ الخليفة الجديد موقفا صارما
وسريعا من هؤلاء القتلة المعتدين .
فكيف تصرف الخليفة فى هذه المسألة؟
فى رواية أيضا عن الطبرى تجسد
الجواب قال : واجتمع الى على بعد
ما دخل طلحة والزبير فى عدة من
الصحابه فقالوا : يا على انا قد
اشترطنا اقامة الحدود وان هؤلاء
القوم قد اشتركوا فى دم هذا الرجل
واطسوا بأنفسهم . فقال لهم :
يا اخوتاه انى لست اجهل ما تعلمون .
ولكنى كيف اصنع بقوم يملكوننا
ولا نملكهم ! هاهم قد نازت معهم
عبدانكم وثابت اليهم اعرابكم . فهل

يذكر الطبرى ان اول خطبة خطبها
على حين استخلف حمد الله واثنى
عليه فقال : ان الله عز وجل أنزل
كتابا هاديا بين فيه الخير والشر .
الفرائض أدوها الى الله سبحانه
يؤدكم الى الجنة . وان الله حرم
حرما غير مجهولة . وفضل حرمة
المسلم على الحرم كلها . وشد
بالاخلاص والتوحيد كلمة المسلمين .
المسلم من سلم الناس من لسانه

معاوية الذى كان يومئذ قوة هائلة يحسب حسابها قبل التعرض له بالعزل من جهة . ومن جهة أخرى فان معاوية — ومن خلفه أهل الشام جميعا — قد رفض القبول فيما جرى لعثمان وكل ما ترتب عليه . ولسنا بذلك ننفى أن عليا كان سياسيا . ولكن صلابته في الحق وتشدده فيه أقوى من سياسته . ولهذا فقد بادر بعزلهم جميعا لأنه لم يكن راضيا عنهم .

وقد تمكن الولاة الجدد من الوصول الى أمصارهم ومباشرة عملهم الا سهل بن حنيف فقد منعه جند معاوية من دخول الشام وكتب على السى معاوية يطلب منه البيعة له . فرد معاوية رسوله بدون جواب . وبعد شهرين بعث معاوية الى الخليفة برسالة مكتوب فيها (من معاوية الى على) وهى تعنى عدم اعترافه بخلافته ولا يقر له بالطاعة . وسأل على رسول معاوية عن حقيقة الأمر فقال الرسول : انى تركت ورائى قوما لا يرضون الا بالقود . قال : ممن ؟ قال الرسول : من خيط نفسك وتركت ستين ألفا يكون تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم قد البسوه منبر دمشق . فقال على منى يطلنون دم عثمان الست موتورا كثرة عثمان . اللهم أبرأ اليك من دم عثمان . ويقول ابن حزم في كتابه — الملل

ترون موضعا لقدرة على شىء مما تريدون ؟ قالوا : لا . قال : فلا والله لا أرى الا رأيا ترونه ان شاء الله حتى يهدأ الناس وتقع القلوب موافعها وتؤخذ الحقوق فاهدعوا عنى وانظروا ماذا يأتىكم ثم عودوا (بمعنى الانتظار حتى تستقر الأمور ، وتهدأ النفوس وتتم السيطرة على الأوضاع وتكون سلطة الخلافة فوق قوة هؤلاء المتمردين) وحينئذ فان القصاص نافذ فيمن شارك في قتل عثمان .

وهو رأى واقفه عليه كما ترى زعماء الناس على مضض لأنه لا حيلة لهم ولا للخليفة يومئذ الا فى التريث .

والمسألة الثانية : هى عزل ولاة الأمصار الذين كان أغلبهم سبب شكوى الناس وتذمرهم فى عهد عثمان أو ابقاؤهم لبعض الوقت ريثما يحكم الخليفة قبضته على أزمة الأمور . ولعلنا نذكر أن عليا كان يرى كغيره من الناس أن بعض ولاة عثمان وتصرفاتهم هى التى أدت الى كل أو أكثر ما حدث . ولذلك فانه رضى الله عنه ما كادت البيعة تتم حتى بادر السى تعيين ولاة جدد للأقاليم المختلفة . وعزل ولاة عثمان جميعا ولعلها كانت خطوة اتخذت قبل استقرار الأوضاع ، واتمام السيطرة على مقاليد الأمور . وخصوصا بالنسبة لوالى الشام

والنحل - أن معاوية لم يكن ينكر فضل على واستحقاقه الخلافة ، لكن اجتهاده أداه الى أن يقدم أخذ القود من قتلة عثمان على البيعة أولا . ورأى نفسه أحق بطلب دم عثمان لقوته على الطلب بذلك ولمكان قرابته من عثمان .

وما لبث طلحة والزبير أن استأذنا عليا في السفر الى مكة فأذن لهما . فوصلها وانضما الى أم المؤمنين في موقفها . وقد كان بنو أمية خرجوا من المدينة عقب مقتل عثمان ولحقوا بمكة وفيهم مروان بن الحكم فتزعم هؤلاء جميعا . واقترحت أم المؤمنين على القوم أن يعودوا الى المدينة . ولكن طلحة والزبير ائفعاها بأن البصرة أصلح لهم . وأخذ القوم طريقهم نحو البصرة مطالبين بالثأر وخارجين على طاعة الخليفة .

كانت انباء هذا الزحف هي التي وصلت من مكة الى أمير المؤمنين علي . فرأى أن يسارع فيوقف زحفهم ويتدارك أمرهم قبل أن يستفحل . ولكنه لم يتمكن من اللحاق بهم قبل وصولهم الى البصرة التي تمكنوا من السيطرة عليها وأخرجوا اليها بعد جلده وايدائه . وهكذا التقى المسلمون وجها لوجه وتحفزوا لقتال بعضهم بعضا . ولم يعدم المسلمون في هذا الموقف العصبية وجود رجال ذوى عزم ورأى سديد قاموا بدور الصلح . فقد نجح التمتع بن عمرو في اقناع أم المؤمنين . ولكن بعض ضعاف الايمان اشعلوا الفتنة . وقامت حرب طاحنة اشتد

واستقر رأى على على الزحف نحو الشام لاختراع هؤلاء الخارجين عليه وعلى اجماع المسلمين . وفيما هو كذلك اذا بأخبار جديدة تصنه من مكة تغير خطه وتؤجل زحفه الى الشام . فما الذى كان في مكة ؟ كانت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها في طريقها من مكة الى المدينة عندما بلغها نبأ مقتل عثمان واجتماع أهل المدينة على مبايعة على خليفة للمسلمين . فقررت أن لا تعود الى المدينة معلنة بذلك سخطها الشديد ورفضها القوى لما جرى . وعادت الى مكة وهي تتردد (قتل والله عثمان مظلوما . والله لأطلبن بدمه) لأن قتله على هذا النحو الاليم كان يثير في نفس كل مسلم فيضا من مشاعر الآسى والحزن . وأم المؤمنين وهي تعلم مكانة عثمان بين كبار الصحابة ومنزلته الأثيرة لدى النبي صلى الله عليه وسلم جديرة بأن تهتز نفسها الما وحزنا ويمتلىء صدرها غضبا من ذلك الذى وقع لعثمان . وربما ظنت أن أهل المدينة

الفوز . وفي اليوم السابع زاد اللهب
وقتل عمار بن ياسر رضى الله عنهما
وكان النبي صلى الله عليه وسلم
قد بشره بأنه ستقتله الفئة الباغية .
وذلك عندما اشترك مع المسلمين في
بناء مسجد المدينة . فكان وحده
يحمل لبنين لبنتين بينما يحمل بقية
الصحابة لبنة لبنة . وربما تبين لكثير
من أهل الشام أنهم ليسوا على الحق
والصواب فامتنعوا عن مباشرة
القتال . فأسرع معاوية بعلاج الموقف
قائلا مالكم تخاذلتم ؟ انما قتل عمارا
من أرسله الينا وانما دفعناه عن
انفسنا .

وقاد الأشتر - وهو من أبرز
جنود علي وأكثرهم بلاء في صفين -
حملة صادقة على جيش معاوية حتى
استطاع هو ومجموعته الاقتراب من
قبة معاوية الذي رأى أن خصمه
يوشك أن يتم له النصر . حينئذ
هتف بصاحبه عمرو بن العاص أن
يعمل على انقاذ الموقف . فأشتر
عليه برفع المصاحف على أسنة
الرمح . وأن ينادى الناس بتحكيم
كتاب الله بين الفريقين . وقد قضت
فكرة التحكيم بأن يختار كل فريق
رجلا يمثلهم فاختر اصحاب علي
أبا موسى الأشعري . واختر اصحاب
معاوية عمرو بن العاص على أن
يكون القضاء والحكم في دومة الجندل
في رمضان من نفس العام ٣٧ هـ .

ميا القتال بين الفريقين حتى انجلت
هذه الوقعة المشئومة - وقعة
الجمال - عن خسارة هائلة تقدر
بعشرة آلاف رجل وعودة البصرة
مرة أخرى الى طاعة علي . اما
أم المؤمنين التي انهزم فريقها فقد
أكرمها أمير المؤمنين وعاملها بما هي
جديرة به من التوقير والاحترام وأمر
لها براحلة وزودها بكل ما تحتاج
اليه في سفرها الى مكة التي قررت
أن تعود اليها . وكان ذلك في شهر
رجب عام ٣٦ هـ .

واتخذ على مدينة الكوفة بالعراق
عاصمة للخلافة بدلا من المدينة .
واستقر له الأمر عدا الشام وواليها
معاوية . فخرج أمير المؤمنين الى
الشام في تسعين الفا من الجند في
أواخر شوال عام ٣٦ هـ . وخرج
معاوية في خمسة وثمانين الفا من
أهل الشام للقاء على وجيشه .
فالتقى الجمعان في صفين على نهر
الفرات ولم يقتتلا في أول الأمر ،
بل تبدلت البعوث والرسل بين علي
ومعاوية غير أنها لم تفلح في اصلاح
ذات البين . فكانت مناوشات حتى
كان شهر المحرم عام ٣٧ هـ توقف
الفريقان تماما عن تلك المناوشات .

ولكن التوتر زاد بين الناس ولم
ينته المحرم حتى بدأت معركة صفين
الرهيبه ستة أيام كاملة دون أن
يتمكن أحدهما من الوصول الى هدف

وهكذا انتهت موقعة صفين التي ذهب ضحيتها عشرات الألوف من الفريقين بينهم مئات من الصحابة وفيهم قراء وعلماء . فكان مصاب الإسلام فيهم عظيما . بعدها تمكن معاوية من إعادة تنظيم صفوفه وجنده . بينما انقسم بعض جند علي عليه منهم الخوارج الذين رفضوا فكرة التحكيم وخرجوا عليه ورفضوا لواء المناهضة وكانوا شوكة في جنب أصحاب علي . ونتيجة التحكيم مأساة أسفرت عن انشقاق الخوارج الذين أصبحوا فريقا ثالثا لا يعترف بعلي ولا بمعاوية . ودارت بينهم وبين علي معركة تعرف بيوم النهروان تمكن فيها علي من القضاء عليهم .

وإذا كانت خلافة علي قد أحاطت بها المشكلات وحاصرتها المتاعب وانهكتها الحروب فإن الفترة التي أعقبت النهروان لا ريب كانت أعقد فترات هذه الخلافة وأشقها على الإطلاق . وكانت كل الشواهد تدل على أن امر علي إلى انتهاء حتى كانت سنة أربعين للهجرة وكل من على ومعاوية على ما بيده من أقطار الدولة حتى اجتمع ثلاثة رجال من الخوارج هم عبد الرحمن بن ملجم ، وأببرك بن عبد الله ، وعمرو بن بكر . فتذكروا أمر الناس وأحوالهم وقال بعضهم لبعض : لو قتلنا هؤلاء الأثرة فأرحنا منهم البلاد وثأرنا بهم أخواننا . فقال ابن ملجم أنا أكفيكم علي بن أبي طالب . وقال البرك لنا أكفيكم معاوية . وقال عمرو أنا أكفيكم عمرا . فتعاهدوا وتوافتوا

بالله على ذلك — اليسوا خوارج ايتعاهدون بالله على القتل والغدر — واتفقوا على أن يوم التنفيذ هو السابع عشر من رمضان هذا العام . ٤ هـ — رغم أن رمضان موسم بر وتقوى واغتنام الخير من الله . فأما ابن ملجم فقد وافقت ضربته عليا بسيفه قضاء الله فلم يلبث حتى لحق بربه ، حين فاجأه وضربه لحظة خروجه من منزله لصلاة الفجر في المسجد الجامع . على حين أخطأ البرك وعمرو صاحبيهما فلم يقتلا . وهكذا قضى رضي الله عنه شهيدا بعد أن امتدت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر كاملة . وكانت سنة يوم وفاته ثلاثة وستين عاما . في ذمة الله وجواره مع الصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا . ونذكر بالثناء الحسن بن علي رضي الله عنهما — وهو رجل سلام — تمكن من حرق دماء المسلمين وكرهه أن يقاتل معاوية لما كان يعرفه من حقيقة أهل العراق الذين كانوا سبب ما لحق أباه ، وأنهم لا يتحقق بهم نصر ولا يوثق لهم بعهد . وما لبث الحسن بعد تبادل الرسل مع معاوية ومبايعته بالخلافة في شهر ربيع الأول عام ٤١ هـ الذي سمي بعام الجماعة بعد عهد طويل من الفرقة والتمزق والبلاء . ولكنهم عادوا إلى الاعتصام بحبل الله التين واستأنفوا مسيرة الفتح الإسلامي . ولله الأمر من قبل ومن بعد . نعم أن الحسن حقق الصلح بين الفئتين من المسلمين غفر الله للجميع انه على ما يشاء قدير .

أهداه نضر

بأقلام القراء

تحت عنوان « أغيثونا من هذه السموم » كتب الينا الأخ مصطفى ابراهيم مصطفى مدرس أول اللغة العربية والدين بالمدارس الثانوية معلقا على قصيدة مقررة على طلبة الاعدادية (١) كتب يقول :

يطالعنا كتاب النصوص المقرر على الشهادة الاعدادية بنص عنوانه « نفحة روحية » للدكتور مختار الوكيل . وللأسف الشديد فان هذه القصيدة بؤرة للشرك ومرتع آسن للوثنية . وبالرغم من ذلك فان وزارة التربية والتعليم قد قررتها على طلبة الشهادة الاعدادية ، ويحكى الشاعر الدكتور مختار الوكيل في هذه القصيدة أنه زار قبر الرسول — صلى الله عليه وسلم — وأخذ يقبل أعتاب قبره ويتوسل ويستغيث به طالبا المدد منه . والقصيدة تعج بألوان من الوثنية ، ومن الاجدر أن تسمى هذه القصيدة « نفحة شيطانية » بدلا من « نفحة روحية » جاء فيها :

ولما وفدت الى داره هرعت أقبل ترب النبي
لجأت الى داركم لاثذا فكن لى على دهرى المتعب
ذنوبى قد أثقلت كاهلى وليس لى اليوم من مهرب
سوى بسمه منك وضاءة تنير دجى الروح ياكوكبى

السؤال المطروح : هل يجوز للسادة المسؤولين أن يقرروا هذه

(١) وتلفت مجلة التوحيد النظر الى أن هذه القصيدة سبق ان علقنا عليها بعدد شهر ربيع الأول ١٤٠٣ من المجلة تحت عنوان (على يد وزارة التربية والتعليم ... اولادنا يتلقون مبادئ الشرك بالله) ورغم ذلك مازالت مقررة على الطلاب .

القصيدة على أطفالنا فيتلغل الشرك في دمائهم وأرواحهم ؟ وهل يجوز للمسلم أن يقبل تراب قبر الرسول أو يستغيث به ؟

والعجب كل العجب أن الشاعر يعود بالمسلمين الى الوثنية وينسى أو يتناسى قول الله — سبحانه وتعالى — لرسوله صلى الله عليه وسلم « قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » وقول الله سبحانه وتعالى : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان » وقوله سبحانه : « له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ الا كباط كفيه اتى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا فى ضلال »

واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم — يتبرأ من الاستغاثة به حيا فكيف يستغيث به الدكتور الوكيل بعد مماته ؟ والدليل على بطلان كلام الشاعر فى قصيدته مارواه الطبرانى فى معجمه الكبير أنه كان فى زمن النبى — صلى الله عليه وسلم — منافق يؤذى المؤمنين ، فقال واحد من أصحاب رسول الله : قوموا بنا نستغيث برسول الله — صلى الله عليه وسلم — من هذا المنافق ، فقال صلى الله عليه وسلم : « انه لا يستغاث بى ولكن يستغاث بالله » • وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم لا تجعل قبرى وثنا يعبد » •

والقرآن الكريم من أوله الى آخره يوضح لنا أن جميع الانبياء والمرسلين لم يتوسلوا الى الله بأى مخلوق مهما كان نبيا أو وليا فهذا هو ابراهيم — عليه السلام — يحكى عنه القرآن قائلا : « رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام » « رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء ، ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب » •

وهذا أيوب عليه السلام يقول الله في حقه : « وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين » •

وهذا ذو النون عليه السلام يقول الله في حقه « وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين » •

وهذا زكريا عليه السلام يقول الله فى حقه : « وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين »

اننى أناشد المسئولين بحذف هذه القصيدة من منهج الاعدادية وأن يدرس بدلا منها قصيدة من قصائد البطولات الاسلامية التى يمتلىء بها أدينا العربى حتى نستطيع أن نربى أطفالنا منذ نعومة أظفارهم على التوحيد ، ولنتذكر قول الله سبحانه وتعالى : « ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين »

اللهم بصرنا بعيوبنا واهدنا لما فيه الخير للمسلمين واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه •

مصطفى ابراهيم مصطفى

إذا سألت فاسأل الله

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقال : يا غلام انى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك • احفظ الله تجده تجاهك • اذا سألت فاسأل الله • واذا استعنت فاستعن بالله • واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك • وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك • رفعت الأقلام وجفت الصحف • (رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح) •